

إعجاز القرآن

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تتصرف إليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كذب ويتصور في النفس كتصور الأشكال ليتبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن .

واعلم أن من قال من أصحابنا إن الأحكام معللة بعلة موافقة لمقتضى العقل جعل هذا وجهها من وجوه الإعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنعو ما يعللون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها ولهم في كثير من تلك العلة طرق قريبة ووجوه تستحسن .

وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا في الأصول .

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد فإننا جمعنا بين أمور وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما قد يمكن اعتماده في إظهار الإعجاز فيه . فإن قيل فهل تزعمون أنه معجز لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه أو لأنه عبارة عنه أو لأنه قديم في نفسه قيل لسنا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصح التركيب على الفاسد ولا نقول أيضا إن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجل أنه حكاية عن كلام الله لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة الإنجيل وغيرهما من كتب الله معجزات في النظم والتأليف وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك .

وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردة وقد ثبت خلاف ذلك